كنوز الحقائق

لسماحة الإمام العلامة

صلاح الدين التجانى الحسنى

الكنز الأول

الكنز الأول

۞ إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الرتب العلية

التجرد هو مفارقة المعتاد ومخالفة المراد ، على العباد قد يلبس إبليس فيظهر مراده في صورة معنى نفيس فيأتي بصورة ناصح فيأمر بالتجريد فإذا تجرد وباع متاعه وطلق نساءه وترك المألوفات وتجنب العادات منتظرا للفتح ويكون سبق في الأزل أنه ليس من أهل ذلك الشأن فلا يظفر بشئ فيتكدر صفاؤه ، وربما تزلزل إيمانه . أما شأن الصادقين فإنهم لا يخرجون من من حال إلى حال حتى يكون الحق هو الذي يخرجهم فليس الشأن أن تترك السبب ، بل أن يتركك السبب فلا يستقيم لك ويتعذر ويعسر عند طلبه .

وإرادتك الأسباب الشاغلة عن خدمة رب الأرباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الرتب العلية إذ التسبب عن أمر الله تجريد ، والتجريد عن أمر النفس تسبب ، والمتجرد عن أمر الله ، والمتسبب عن أمر الله كلاهما سواء . وهما كعبدين لملك ، قال لأحدهما : اعمل وكُل من عمل يدك ، وقال للآخر : إلزم حضور حضرتي ولك قسمتي ، فمتى خرج أحدهما عن مراد مالكه أساء الأدب .

۞ ﴿ لا تطلب منه أن يخرجك من حال ليستعملك فيما سواها ، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج﴾

من الأدب ترك الاعتراض بترك تمني الخروج لغرض من الأغراض فكم من متجرد وسع عليه رزقه ومتسبب اتسع وقته فجمع بين التعبد والتسبب ، فخروجك بنفسك سوء

أدب فأقم حيث أقامك . وإذا أوقفك بالباب ، فلا تطلب الدخول إلى الدار واصبر حتى تدخلها بعد تكرار الإذن لك ، وإياك أن تقنع بالإذن مرة واحدة ، لجواز كونه مكراً بك ، فإذا كان الدخول جبراً محضاً لم يعاقبك على الدخول ، وإذا دخلت بإذن فاطرق رأسك ، غاضاً طرفك ، مبادراً إلى ما أمرك به من خدمة ، غير طالب للترقي ، ولا لفتح ، ولا لخصوصية ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ نهاه عن الالتفات لغير الحالة التي هو فيها ، فالله تعالى يوصل بجنس ما يقطع به ، ويهدي بجنس ما يضل به ، النور حجاب ، والظلمة حجاب ، فلا تنظر إلا إلى المسبب ، ولا تخدعك الأسباب ، فمن وقف مع شئ حجب به . فلو أطلعك على خزائن ملكه وملكوته ، فقل : لا أبغي سواك ، ولو أطلعك على أنوار أسمائه وصفاته،

ورضيت ، فقد حجبك بها عنه ، فالله تعالى أكرم من كرمه ، وأغنى من غناه ، وأرحم من رحمته ، وأرضى من رضاه **فلا تقنع إلا بالله** .

فالعبد يرضى عن الله تعالى في كل حال يقيمه فيها ، فالحق تعالى أعلم بمصالحهم منهم ، فلا يفعل بهم إلاَّ خيراً ، فالحكمة الإلهية كاملة في إعطاء ما أعطى ، ومنعه ما منع . فالأكمل في حق الأنبياء : النبوة ، وفي حق الولي : الولاية ، وفي حق المؤمن : الإيمان ، وفي حق العالم : العلم ، وفي حق المحترف : الحرفة ، وفي حق غير المحترف : عدمها . وهكذا فطلب العبد الإنتقال من الحالة التي هو عليها اختيار غير ما اختار الله له ، وهنا فهو يدعي أنه أعلم بمصالحه من الله ، وكفى به جهلاً وكفراً . والعبد ينظر إلى ما أراد الله إظهاره في كل وقت ،

ويسلم لله فيه ، ولا يميل قلبه إلى إظهار غيره مما يحب ، فإن كان مرضًا فلا يتمنين الصحة ، وإن كان فقراً فلا يتمنين الغنى ، ولا ينكر على أحد سلك طريقاً غير طريقه فلا يعترض الفقيه على النحوي ، ولا المقريء على الأصولي ، ولا الفقيه على الصوفي وبالعكس ، لأن لكل فرقة اصطلاحاً فيما بينهم لا يعلمه غيرهم ، وذاك كله إذا اجتنبت المحرمات . وإلا فلو رأينا الصوفي يمشي على الماء ، ويتربع في الهواء فلا نعبأ به إلا إن امتثل أمر الله تعالى ، واجتنب نهيه . واعلم أن اعتراض الخلق بعضهم على بعض إذا كان بنية النصيحة ، فهو سبب لترقيتهم وتنظفهم من رذائل الأخلاق ، لأنهم لم يزالوا بخير ما تناصحوا .

۞ ﴿ ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يُحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه ﴾

إنما هي إرادة الله وأنت تريد بها ، ومشيئته وأنت تشاء بها ، وما جعل الله ذلك إلا للإنسان فلا إرادة لملك ولا لغيره فإرادة الله ماضية في خلقه سواء طاعة أو معصية ، فلا يطيع طائع ولا يعصي عاصٍ إلا بإرادته تعالى ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ وهذه إرادة لا يستطيع أحد مخالفتها تأتي من الله تعالى إلى خلقه رأساً .

أما أمره تعالى فهي أوامره بافعل ولا تفعل ، فالأوامر قد يعصاها الإنسان وقد يطيعها ، وهي تأتي من الله تعالى إلى خلقه عن طريق الرسل ثم العلماء ، فمن عصى الأمر فقد

أطاع الإرادة ، وهنيئاً لمن كانت إرادة الله فيه الطاعة ، ويا خسارة من كانت إرادة الله فيه المعصية .

۞ ﴿ طلبك منه اتهام له ، وطلبك له غيبة منك عنه، وطلبك لغيره لقلة حيائك منه ، وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه ﴾

إنما يُطلب الغائب وهو تعالى حاضر سميع بصير قريب مجيب ، وأقرب إليك من حبل الوريد . وطلبك من غيره لاحتجابك عنه ، وتوهم أن الغير يعطي ويمنع ويضر وينفع ، قال خليل الله إبراهيم عليه السلام : ﴿ **علمه بحالي يُغني عن سؤالي** ﴾ . كما أن الثناء باللسان تعريض بالسؤال كما هو المعروف المألوف من شيم الكرام .

أأطلب حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء

۞ ﴿ كيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق إذ جل حكم الأزل أن يضاف إلى العلل ﴾

وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته ، و لم يكن في أزله إخلاص أعمال ولا وجود أحوال ، بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال وعظيم النوال . فالعبد يعلم أن صفات الله تعالى قديمة بقدم الله ولا تعتمد على صفاته الحادثة ، فلا تترتب مغفرته على استغفار ولا عطائه على طلب .

۞ ﴿ ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك ﴾

فمن اعتمد على الله تعالى وتوسل به في مطلبه ، تيسر له حصوله مع الراحة لقلبه وبدنه ، ثم أعانك فيه ، وما دخلت فيه بنفسك ، وُكِلت إليه . والعبد يدخل في أموره كلها بالله، ويخرج منها بالله .

۞ ﴿ **ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه** ﴾

قال ﷺ : ﴿ **لو كُشف الغطاء لرأيت قائداً يقود ، وسائقاً يسوق** ﴾ . والأدب أن تجعل أنفاسك له ، لا لها ، أي لله ، وليس للدنيا . فأنفاسك معدودة ، وكل نفس يقتضي تجلياً ، والتجلي يترك معرفة ، والمعرفة توجب عبودية ، والعبودية محصلتها السكون تحت مجاري الأقدار ، فتكون في كل نفس سالكاً إليه علوا .

۞ ﴿ من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل ﴾

إذ الاعتماد على الشئ في حصول قصده يؤذن باستشعار قوته

الناس ثلاثة :

معتمد على عمله ، وعلامته أن يصير خوفه أرجى من رجائه عند وقوعه في الزلات ، وإذا عمل طاعة جعلها من أعظم عدده وأقوى معتمده .

معتمد على فضل الله ، وهذا متبرئ من حوله وقوته ، راجع إليه في السراء والضراء .

معتمد على سابق القسمة ، وعلامته الاستسلام والسكون تحت مجاري الأحكام ، ناظر إلى ربه فان عن نفسه غارق في

بحر الوحدة . فهذا يكون دائم البشر ، مواصل الاحسان ، كما كان عليه حبيب الرحمن . فمن اعتمد على سعة الكرم زاد رجاؤه عند سبب الندم ﴿ **أنا عند ظن عبدي بي** ﴾ .

قال بعضهم : إن الله خلقني بلا عمل ، ثم هداني لدينه ، فاعتمادي على كرمه أولى من اعتمادي على أفعالي المدخولة وصفاتي المغلولة ، فلو أن التوبة تطرق بابي ما أذنت لها في الدخول علي ، ولو أن الصدق والاخلاص عبدان لي ، بعتهما زهدا فيهما ، فلو كتبت في الأزل سعيدا فلن أتخلف بكثرة ذنوبي ، وإذا سبقت للعبد من الله العناية فلن تضره الجناية . فالعبد لا اعتماد له إلا على فضل سيده وبره ورحمته ، لا على عمله وكسبه . روى البزار عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ﴿ **يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين :**

ديوان فيه العمل الصالح ، وديوان فيه ذنوبه ، وديوان فيه النعم من الله عليه . فيقول الله عز وجل لأصغر نعمة في ديوان النعم : خذي ثمنك من عمله الصالح . فتستوعب عمله الصالح ، ثم تَنَحَّى وتقول : وعزتك ما استوفيت . وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل الصالح . فإذا أراد الله تعالى أن يرحم عبداً قال : يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك ، ووهبت لك نعمي ﴾ .

وفضل الله تعالى قديم ، أزلي ، أبدي ، ثابت ، لا يتغير بالحوادث فمن اعتمد عليه لا يتغير رجاؤه في رحمة الله تعالى عمل ما عمل ولو بلغت ذنوبه عنان السماء . وانظر إلى إبليس حين قال الله تعالى له : ﴿ **فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ** ﴾ (ص:٧٧ - ٧٨) لم يمنعه ذلك من

أن يدعو ربه ويقول ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(ص:٧٩) ، أما من اعتمد على عمله فإنه ينقص رجاؤه إذا أساء عمله ويزيد رجاؤه إذا حسن .

۞ ﴿ سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار ﴾

همم خواص البشر لا تخدش سور القدر ، إذا أرادك قربك بلا تعب ، وأدناك بلا سبب ، وأخرجك من نفسك بلا كدر ولا نصب . قيل للجنيد : أيزني الولي ويحط قدره العلي ؟ فقال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ . فكن به ولا تكن بعملك ، وما دامت الهمة لا أنزلها في تقدير القدير ، فلا جدوى من التدبير .

۞ ﴿ أرح نفسك من التدبير ، فما قام به غيرك لا تقم به أنت لنفسك ﴾

أين كنت حين وجه عنايته لإيجادك ، ولا زال يدبرك إلى حين ميلادك ، ثم لطفه بك في جميع الأطوار إلى وصولك إلى دار القرار . المشغول بتدبير نفسه مشغول عن الله ، وإن كان لابد أن تدبر فدبّر أن لا تدبر ، فمن لم يدبر دُبِّر له ﴿ **أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ** ﴾(الزمر: ٣٦) ، فثق بوعده تعالى .

وكلمة (**أرح**) يعني من التدبير المذموم الناشئ عن حظوظ النفس المظلمة وشهواتها . أما التدبير المحمود فهو تدبير الأمور المطلوبة منه شرعا كتدبير أمور عبادته ، وتدبير أمور بيته وأهله (التدبير نصف المعيشة) ولابد أن يكون مصحوباً

بالتفويض والتسليم . فالتدبير له محمود ، أي لله . والتدبير لها مذموم أي للدنيا . يجب ترك التدبير على أهل البدايات ، أما العارفون فإن دبروا ، دبروا بالله ، وإن تركوا ، تركوا لله .

قاعدة عظيمة : أصل الطريق اتباع السنة ، وشهود المنة ، والتسليم للحكم بملاحظة الحكمة . وكيف تقوم بتدبير ما قام به عنك القدير .

قاعدة : لا تتكلف ما كُفيت ولا تضيع ما استكفيت .

المتوكل لا يحاسب ، لأنه اتخذ ربه وكيلا في جميع أعماله . قال ﷺ : ﴿ **يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ .

۞ ﴿ اجتهادك فيما ضُمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك ﴾

فاجتهادك في الرزق المضمون مع التفريط في عبادة الرزاق علامة على أنك مفتون **﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾** (فاطر: ٢)

فلا تكن ممن ألهاهم الرزق عن الرزاق أو من ألهتهم الصفات عن الموصوف أو من ألهاهم الذكر عن المذكور .

أما من أجمل في الطلب بغير اجتهاد ، وبأدب ، وبغير تفريط فيما أُمر به من سبب ، فهذا من العبادة المأمور بها **﴿ إن الله تعالى يحب العبد المحترف ﴾ ﴿ من بات كالاً من عمل يده بات مغفوراً له ﴾** .

أما من اجتهد استغراقا في السبب حتى أنساه ذكر من وهب ، فهذا من سوء الأدب ، ولا ينوب صاحبه إلا التعب . فما ضمن لك فلا تهتم به ، وما طلب منك فلا تهمله . وإذا كان الحق يرزق بربوبيته أهل الجحود كيف لا يرزق أهل اليقين والشهود . وإن كان أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجريه على أهل الإيمان . وإن خرجت للناس فقلت لهم أنا لا أثق أن الله يرزقني لكفروك فكيف وأنت تقولها بقلبك .

فالمراد من إنزال الكتب وإرسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أن يعرفوا العبيد ما خلقوا له ، فليلزموه، ويعرفوا ما لله عز وجل دونهم فلا ينازعوه فيه ، قوله تعالى ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾ (البقرة:٤٠) ، ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ (المائدة:١) إعلام بأننا جحدنا عبوديتنا له إذ لو كنّا عبيدًا محضًا له لم يكتب علينا عهده ؛

فلما ادعينا الملك والتصرف والأخذ والعطاء كتب بيننا وبينه العهد ، وأخذ علينا الميثاق .

۞ ﴿ ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته ، واشتغالا بذكره عن مسألته ﴾

للحديث القدسي **﴿من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ﴾**

من استغرق في الحضور مع المذكور ، نزه حضرة المحبة عن السؤال ، وأحياناً يكون الدعاء من الأدب ، وأحياناً يكون السكوت من أعلى الرتب . فمن وفق للدعاء دعا ، ومن وفق للسكوت سكت .

۞ ﴿ لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك ، فهو إنما ضمن لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما تختاره لنفسك ، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد ﴾

قال ﷺ : **﴿ ما من عبد يدعو بدعوة ليس فيها قطيعة ولا إثم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وأما أن يُدفع عنه من البلاء بقدره ﴾**

ويكفي الداعي أن الله تعالى يفرح إذا سأله عبده ، ويكفي الداعي أن الله تعالى يقول له لبيك ، وقد يؤذن تأخير العطاء بسمو مقام الداعي . والدعاء يوجب الحضور ، وقضاء

الحوائج يوجب الإنصراف ، ولا تكن ممن استعجل شيئا قبل أوانه ، فعوقب بحرمانه ، وقد يقضي الله حاجة من دعاه كراهية له كما عجَّل لإبليس دعاءه بغضاً له حين ﴿ **قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ** ﴾ (الحجر: ٣٦ – ٣٧) .

۞ ﴿ لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحاً في بصيرتك وإخماداً لنور سريرتك ﴾

قد يكون الله تعالى علّق هذا الوقوع على أمر لم يذكره لك ، فعندما وعد الله تعالى نوح عليه السلام بنجاة أهله ، وغرق ابنه ،

فسأل نوح عليه السلام ربه عن تحقيق وعده له ، فقال له : ﴿ **إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ** ﴾ (هود: ٤٦) .

وهذا رسول الله ﷺ وعده الله النصر ببدر ، ومع ذلك أخذ يدعو ويقول : ﴿ **إن تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض** ﴾ . وهذا من سعة معرفة رسول الله ﷺ بربه .

۞ ﴿ العطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله إحسان ﴾

حرمان لأنه يوجب التعلق بهم دون الله المعطي الحق ، والمنع إحسان لاقتضائه اللجوء إليه والدوام بين يديه ، وأي إحسان أعظم من ذلك . ومن شهد العطاء من الخلق ، فهو محروم عن رؤية المعطي الحق . ما ردَّك إلى الله فهو من أجَلِّ النعم ،

وما قطعك عن السوى فهو غاية الكرم ، إذ أن الله تعالى لا يمنعك من بخل ، أو فقر ، أو حاجة ، بل رحمة بك ، وقياماً بمصلحتك .

﴿ ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فاعطاك ﴾

قال تعالى : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾(البقرة:٢١٦) . فربما أعطاك شهواتك ، فمنعك حلاوة مناجاتك . وربما منعك اللذات فأعطاك جزيل الهبات . وربما أعطاك من الدنيا ما تريد ، فمنعك المزيد .

۞ ﴿ متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرف إليك ، ومقبل بوجود لطفه عليك ﴾

فيتعرف إليك تارة بجماله وبسطه ، وتارة بجلاله وقهره ، حتى تتحقق بكماله في صفاته وجمعه .

۞ ﴿ متى فتح لك باب الفهم عنه في المنع ، عاد المنع عين العطاء ﴾

وهذا الفهم هو المعرفة .

۞ ﴿ إذا فتح لك وجهة من التعرف ، فلا تبال معها إن قلّ عملك ، فإنه ما فتحها لك ، إلا وهو يريد أن يتعرف إليك ، ألم تعلم أن التعرف هو مورده

عليك ، والأعمال أنت مهديها إليه ، وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك ﴾

إذا فتح لك بابا من المعرفة بجنابه ، فقد أهّلك لتكون من أحبابه ﴿ **إذا أحب الله قوماً ابتلاهم** ﴾ فإذا تعرف إليك بأسمائه بما يضاد مرادك ، ويمنع أورادك ، كمرض وبلاء ، فقد نهج بك منهاج الخواص ، وأهل الإختصاص ، وما فتح لك ذلك الباب ، إلا وقد أرادك للقرب من ذلك الجناب ، فإن ذرة من أعمال القلوب من الرضا واليقين ، خير من ملء الموازين من عملك المعلول . ما بين ما تهديه إليه من عملك المدخول ، وبين ما يتعرف به إليك من المعارف والعلوم والمواهب والفهوم كما بين عبد ورب . ومن ثم كان فرحهم بالبلاء أشد من فرحهم بالنعمة . والشأن عند أهل الطريق

كثرة الأعمال في البدايات ، ثم يفتح الله لهم أبواب التعرفات فينشغلون بها عن أكثر أعمال الظواهر ، فيظن الظان أنه تخلف في سلوكه ، مع أنه في عروج وترق ، ثم إذا صبر ورضي ، فتح الله تعالى له باب المشاهدات ، فتنسيه المشاهدات ما هو فيه من المكابدات ، وهي أول مشاهدة الجمال وورود الواردات فبعد أن كان محباً ، صار محبوباً ، وبعد أن كان خاطباً ، صار مخطوباً ، وهذا ما يسميه العارفون (**فتق الرتق**) ، أي كان باب المعرفة منطبقاً عنده ، فانفتح .

ما نفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكره ، قال ﷺ : ﴿ **تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة** ﴾ ، وينوي بالعزلة حماية الخلق من شره هو ، أما إن نوى عكس ذلك

فهو سوء ظن بعبادة الله تعالى . والعارفون خلوتهم في جلوتهم، إذ الكون كله عندهم معمور بالله ، حي ناطق ، يسبح خالقه ، فهم في خلوة أبدا .

والعبد دائماً بين حالين : إرسال واستقبال ، شِرَّه وفترة . عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ **إن لكل عمل شِرَّةً ، وإن لكل شرَّة فترة ؛ فمن كانت شِرَّتُه إلى سنتي ، فقد أفلح ، ومن كانت شِرَّتُه إلى غير ذلك فقد هلك** ﴾ . هما حالتان تتعاقبان على العبد ؛ حالة يكون فيها نشيطاً للعبادة ، ذائقاً لحلاوتها ، مقدماً على فعلها بغير تكلف . وحالة تجده فاتراً ، لا يميل إلى كثرة العبادة ، أو لا يستطيعها كالمريض . والحالة الثانية أشرف من الأولى ، لأن الحالة الأولى أنت مرسل ، والثانية مستقبل . فإنه تعالى يردك إلى الفترة

والضعف والسكون لتتمكن من استقبال الأنوار والتجليات عنه ويفتح لك باب الفهم منه ، وهذا كبير جداً ، ثم يعود بك إلى الشِرَّة والقوة ، لتقوم بالإرسال والخدمة . الحالة الأولى للنفس فيها مدخل وتشوف وذوق ، أما الثانية فإنك تمارس العبادة لله تعالى مع أنها شاقة على النفس ، وليس فيها لذّة ولا حظ للنفس .

والعباد ثلاثة : عبد يشهد ما منه إلى الله ، وهم أهل الإرسال وعبد يشهد ما من الله إليه ، وهم أهل الإستقبال . وعبد يشهد ما من الله إلى الله ، فهم أهل الجمع والفناء والبقاء . فصاحب الفناء يقوم الله عنه ، وصاحب البقاء يقوم بالله عن الله .

وهما ولايتان : فولي يتولى الله ورسوله والذين آمنوا ، وهى الولاية الصغرى ، وهى ثمرة المجاهدة والمكابدة ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(العنكبوت:٦٩) وولي يتولاه الله ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(الأعراف:١٩٦) ، وهي الولاية الكبرى ، وهي محض اجتباء من الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ ﴾(الشورى:١٣) .

۞ ﴿ رب معصية أورثت ذلاً وانكسارا ، خير من طاعة أورثت عزاً واستكبارا ﴾

فالمعصية التي تورث صفات العبودية هي عين الطاعة ، والطاعة التي تورث الكبر والإعجاب بالنفس هي عين المعصية. فالعبد تقربه المعصية كما تقربه الطاعة .

۞ ﴿ أنت إلى حلمه إذا أطعته ، أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته ﴾

توبة المعصية واحدة ، وتوبة الطاعة ألف توبة ، فطاعتك مصحوبة بإعجابك بنفسك ، وذلك أصل كل مصيبة . أما المعصية فمصحوبة بذل وانكسار واحتقار وافتقار .

۞ ﴿ تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب ﴾

النظر في العيوب حق الأدب ، وطلب الغيوب قد يجر إلى العطب ، والتطهر من العيوب هو الطريق إلى عجائب الغيوب والتخلي عن الأوصاف المذمومة مقدم على التحلي بالمحمودة، فالتخلي ، ثم التحلي ، قال ﷺ : ﴿ **اتق المحارم تكن أعبد الناس** ﴾ . ودرأ المفاسد مقدم على جلب المصالح . فالنفس راحتها في طلب الكرامة ، ومولاك يأمرك بالاستقامة ، ولئن تكون بحق ربك أولى أن تكون بحق نفسك . فالعبد يرى نفسه دائماً عبد سوء ، ولا يرى نفسه أهلاً للدخول في الملأ الأعلى ، ومشاهدة الجمال .

۞ ﴿ **لا صغيرة إذا قابلك عدله ، ولا كبيرة إذا واجهك فضله** ﴾

فمن قابله بعدله كبرت صغائره ، ومن عامله بفضله محيت كبائره ، وإذا سبقت للعبد من الله العناية فلن تضره الجناية فصفة العدل إنما تظهر على من قلاه ، وصفة الفضل إنما تظهر على من أدناه . فالعبد ليس عنده في الذنوب صغير ولا كبير، بل اعتماده كله على فضل الله ومغفرته .

۞ ﴿ الأعمال صور قائمة ، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها ﴾

فالإخلاص في مقام الإسلام تمحض القصد من شائبة الشرك الخفي وهو الرياء ، وفي مقام الإيمان الإخلاص الخالي عن طلب العوض ، وفي مقام الإحسان الفناء عن أن ترى أنت أو أنا لحصول المنى . أما إخلاص الأنبياء فهو شئ في غير قدرة البشر ولكنهم تحملوه بالله تعالى ، لا ذوق فيه لولي ولا غيره

. وإن تكلم فيه بحسب الإرث ، فهو كمن يتكلم على خيال نجوم السماء في البحر .

۞ ﴿ **لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك ، وافرح بها لأنها برزت من الله إليك** ﴾

﴿**قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ (يونس: ٥٨) . من شهد الله لم يشهد معه سواه ، فحضرة الله ليس فيها سواه ، فإذا رأيت السوى ، لم تر الله .

۞ ﴿ **شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه** ﴾

فمتى غاب حتى يُستدل عليه ، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه . فالله تعالى شهادة ما غاب قط ، والكون كله غيب ما ظهر قط .

۞ ﴿ أنت حر مما أنت عنه آيس ، وعبد لما أنت له طامع ﴾

فما يئست منه فلا تعلق لقلبك به ، فيتفرغ القلب لله . فعليك برفع همتك عن الخلق أجمعين ، وأنزل جميع حوائجك بالله تعالى تكن حراً . ولا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق ، إلا أن ترى أن المعطي فيهم مولاك .

مرّ بعض أعوان السلطان على بعض الزهاد يلتقط من البقل يتقوت به فقال : لو خدمت السلطان لم تحتج إلى هذا البقل، فقال له : وأنت لو قنعت لم تحتج إلى السلطان .

﴿ ما بسقت أغصان ذل إلا عن بذر طمع ﴾

فمن نبت طمعه طال ذله ﴿ **ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس** ﴾ ، ومن وقف مع الدنيا حُجب عن الآخرة ، ومن وقف مع الآخرة حُجب عن الله ، فلا طمع إلا في الله تعالى .

﴿ قلب من ترائيه بيد من تعصيه ﴾

۞ ﴿ ما قل عمل برز من قلب زاهد ، ولا كثر عمل برز من قلب راغب ﴾

عمل الزاهد في الدنيا يكون سليما من الآفات القلبية ، فيكثر ويعظم ، وعمل الراغب ينقصه الإخلاص إذ كل عمله للدنيا . والزاهد هو من خرجت الدنيا من قلبه لا من يده . أما إذا لاحت أنوار الشهود ، وأصبح العبد يرى الله في كل شئ ، فيأخذ من الله ، ويعطي لله ، ارتفع عنه مقام الزهد ، بل صار بالنسبة له خسيساً . وهذا هو مقام الزهد في الزهد . وهؤلاء الناس لا يرون الدنيا أصلاً ففيم الزهد . فالكامل يعطي كل ذي حق حقه ، ويبدأ أولاً بحق نفسه ، إذ الأقربون أولى بالمعروف ، وهي أقرب شئ إليه ، ثم بحق أهل الله ، ثم بحق سائر الخلق على درجاتهم من القرب .

۞ ﴿ من لم يُقبل على الله بملاطفات الاحسان ، قيدَ إليه بسلاسل الامتحان ﴾

فالنفوس الكريمة تقبل عليه لإحسانه ، واللئيمة لا ترجع إليه إلا ببلائه وامتحانه ، فإما تقبل عليه طوعاً ، أو كرهاً . فالعباد نوعان : نوع عبيد اللطف والنعم ، فكلما رأوا إحسانه إليهم أطاعوه ، ونوع لا يقبل عليه إلا بزوال النعم وتوالي النقم . عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل . فالعبد يقابل إحسان الله عليه حمدًا بالقول ، وشكراً بالفعل فيدخله ذلك على مولاه دخول المحسنين ، وإلاَّ قاده إليه بصنوف المصائب ، وأمواج البلايا .

۞ ﴿ من لم يعرف قدر النعم بوجدانها ، عرف بوجود فقدانها ﴾

قاعدة : من كان في نعمة ولم يشكر ، زالت منه ولم يشعر .

۞ ﴿ إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه حَسِّن ظنك به لأجل معاملته معك ، فهل عوّدك إلا حَسَنا ، وهل أسدى إليك إلا مننا ﴾

فانظر إلى جماله في كماله ، فالجميل لا يفعل إلا جميلا ، فاقطع الآمال من سواه ، وإلا فانظر إلى إحسانه السابق ، وإفضاله اللاحق فكما كان لك بلا علة ، فكن له بلا علة . أوجدك من العدم ، وأمدك بالنعم . أوجدك من عَدَم وأمدك من عُدْم . وتأمل تجد ما منه إليك إنما هو محض إحسان ،

وعطاء بلا امتنان ، فإن لم تحصل تجلي الصفات بالأول ، فلا أقل من أن تحصل تجلي الأفعال بالثاني ، وفي الحديث القدسي: ﴿ **أنا عند ظن عبدي بي** ﴾ .

۞ ﴿ من لم يشكر النعمة فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها ﴾

فمن شكر النعمة فقد تعرض للمزيد ، وكان من خلاصة العبيد وغاية الشكر هو الغيبة عن النعمة بالمنعم .

۞ ﴿ أنت مع الأكوان مالم تشهد المكوِّن ، فإذا شهدته كانت الأكوان معك ﴾

لا ترحل من كون إلى كون ، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون . والرحلة من كون إلى المكون أولا رحلة من

المحرمات إلى الطاعات ، ومن السيئات إلى الحسنات ﴿ **المهاجر من هجر ما نهى الله عنه** ﴾ ، ثم رحلة من الأماكن والأزمان المفضلة إلى الفاضلة ، ثم رحلة عن الكائنات برؤية مكونها ثم الرحلة في الله ، ثم الرحلة من الفناء إلى البقاء بالله ﴿ **وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ** ﴾ (النجم: ٤٢) ، ومن استشهد خلال هذه الرحلات كان شهيداً ، وكتب عند الله من الواصلين . ومن كان في الله تلفه ، فعليه خلفه ﴿ **وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ (النساء: ١٠٠) ، قال ﷺ : ﴿ **من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى مَالٍ يَأْخُذُهُ أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا**

هَاجَرَ إِلَيْهِ ﴾ . فسوَّى ﷺ بين الهجرة إليه والهجرة إلى الله تعالى . ولا وصول إلا بطريقين : إما جذب إلهي ، وإما سلوك على يد شيخ مرشد ﴿ **ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ** ﴾(الشورى: ١٣) .

۞ ﴿ إنما وسعك الكون من حيث جثمانيتك ، ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك ﴾

العبد يعلم أن له روحاً من الله ، هدية له دون خلقه ، ولما أمر الله تعالى إبليس للسجود ، فإنه لم يطلع على هذه الروح ، حتى قال ﴿ **أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ** ﴾(ص:٧٦) ولو رآها لكان أول من سجد ، ولما كان في علم الله تعالى أنه لا يطلع على سر روح آدم عليه السلام ملك ولا شيطان ، قال

لإبليس ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (ص:٧٥) ، يعني الجسم ، فزاده حجابًا فوق الحجاب . إذ لو كان العرش وما حواه من الكرسي والسموات في زاوية من زوايا الروح لما أحس بها صاحبها ، إذ أن الروح مطلقة غاية الإطلاق ، أما العرش والكرسي والجنة والنار فمقيدة ، وأين المقيد من المطلق . وما دام العبد مقيدًا في سجن الأكوان ، محصورًا في هيكل جسمه فالأكوان حاكمة عليه ، وهو يحبها ويعشقها ، وهي تبغضه وتبعده عن ربه ، وهو يفتقر إليها ، وهي غنية عنه ، فإذا شهد مكونها ، وغاب بجماله عنها ، وتحرر من رقها ، كانت حينئذٍ هي خادمته ، وهو حاكم عليها ، وهي تحبه وتعشقه ، وهو مشغوف بحب خالقها ، وهي تفتقر إليه وهو غني عنها ، وهي تحرص عليه ، وهو زاهد فيها ، وهي تخاف

منه وتهابه ، وهو آمن منها . وفي الحديث : ﴿ **اشتاقت الجنة إلى علي وصهيب وبلال** ﴾ . والنار تهابه ، وهو في غيبة عنها ، وفي الحديث : ﴿ **تقول النار للمؤمن : جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي** ﴾ .

۞ ﴿ **قوم أقامهم الحق لخدمته ، وقوم اختصهم بمحبته** ﴾

فالعبد إما هو من أهل خدمة الله ، وإما من أهل محبته وأهل خدمة الله تعالى منهم قوام الليل ، وصوام النهار ، والعباد والزهاد ، وأهل المجاهدات ، ومنهم المجاهدون في سبيل الله ، وعلماء الشريعة المحافظون عليها الذابون عنها .

أما أهل محبة الله تعالى فهم الذين خصهم الله تعالى بمعرفته ومشاهدته ، وهم كمل العارفين . أهل الخدمة طالبون الحور ، وأهل المحبة رفعت عنهم الستور . أهل الخدمة هم أهل الدليل والبرهان ، وأهل المحبة هم أهل الشهود والعيان ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾(الإسراء: ٢٠) . العباد والزهاد وأهل الأعمال والأوراد أقامهم الحق لخدمته حتى صلحوا لدخول الجنة ، وأهل المحبة والوداد والصفاء واتباع المراد هم أهل حضرته ، فمن شغله بعبادته فهو في رضاه ومنته ، ومن خصه بمحبته فهو في فضل عطاء خصوصيته . صاحب المحبة والمفرقة أعلى ، وهو في القيامة أغلى . مقام العبادة عناء ، ومقام المحبة عناية . مقام العبادة مقام من أراد ، مقام المحبة مقام المراد . مقام

العبادة مقام التكليف ، مقام المحبة مقام التشريف . مقام العبادة مقام كسب ، مقام المحبة مقام وهب . اطلع الله تعالى على قلوب خلقه ، فمن لم يصلح منهم لحمل المعرفة ، شغله بالعبادة .

﴿ خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك ﴾

وهي الاستقامة ، والقيام بحق العبودية في اتباع الأمر واجتناب النهي ، فالعبد إذا دعا ربه إنما يطلب منه تيسير ما الله طالبه منه من الواجبات والاستقامة ظاهراً وباطناً والاستسلام لقهره . والله تعالى لا يسأل الخلق عن ذاته وصفاته ولا عن قضائه وقدره ، ولكن عن أمره ونهيه .

۞ ﴿ متى أطلق لسانك بالطلب ، فاعلم أنه يريد أن يعطيك ﴾

قال ﷺ : ﴿ **من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة** ﴾ .

۞ ﴿ إذا أردت أن تعرف قدرك عنده ، فانظر في ما يقيمك فيه ﴾

لأن المنازل على قدر النازل ، فإن وجهك للدنيا فقد أهانك، أو للعمل فقد أعانك ، أو فتح لك باباً في العلم فقد أرادك ، أو إلى مناجاته فقد قربك ، وإن واجهك بالبلاء فقد أحبك ، وإن رضيت عنه فقد رضيك . والظاهر دليل على الباطن : فإن رأيته بعيداً عنك فأنت بعيد عنه . وإن رأيته قريباً منك فأنت قريب منه . وإن أجللت أمره أجلّك . وإن خفته

أخاف منك من تخافه ، وإن أحببته أحبك وحببك لخلقه . وهناك من يطلب منه وهم العباد والزهاد . وهناك من يطلبه وهم العارفون . والعبد يأخذ بالأحوط لدينه ، ويخرج من خلاف الأئمة ﷺ ، فلا يرتكب المكروهات عند غير مذهبه ، ويعاملها معاملة المحرمات ، بل ويفعل السنن كأنها واجبات ، ومن كانت عباداته صحيحة على جميع المذاهب أولى من كونها باطلة عند بعض المذاهب . ومن سلك طريق العبودية فلابد أن يتوب من ترك السنة كما يتوب من ترك الواجب . وكلما ازداد العبد معرفة بالله تعالى عظَّم أمره ونهيه ، وكلما بَعُد تهاون . وتعظيم كل أحد على قدر معرفته بربه . وكما يكون أمر الحق عندك كذلك تكون منزلتك عند ربك .

وفي الحديث الصحيح : ﴿ **من كان لا يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه** ﴾ .

۞ ﴿ **متى رزقك الطاعة ، والغنى به عنها ، فاعلم أنه أسبغ عليك نعمه ، ظاهرة ، وباطنة** ﴾

فأتم النعم وأعلاها القيام بالعبودية في عين مشاهدة الربوبية وإقامة الشريعة مع موافقة علوم الحقيقة ، وتعديل الظاهر بإقامة الأوامر ، والباطن بالغنى به عن كل مغاير .

۞ ﴿ **ربما فتح لك باب الطاعة ، وما فتح لك باب القبول . وربما قضى عليك بالذنب ، فكان سببا للوصول** ﴾

فربما سهل لك باب الطاعة ، ثم حجبك برؤيتها عنه ، أو حجبك برؤية نفسك فيها أنك أنت العامل لها ، فيحجبك عن رؤية توفيقه لك فيها .

۞ ﴿ الذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عوَّدك حسن الاختيار ﴾

أما من تلذذ بالبلاء من الأولياء فواجبه الشكر ، لا الصبر ، ففي البلايا ألطاف ، وفي الرزايا إتحاف .

۞ ﴿ من ظن انفكاك لطفه عن قدره ، فذلك لقصور نظره ﴾

قال تعالى : ﴿ **ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ** ﴾ (الشورى: ١٩) ، فاللطف يشمل في الآية كل العباد المؤمن والكافر ، المطيع والعاصي صاحب البلاء وصاحب الرخاء .

﴿ ليس كل من ثبت تخصيصه ، كَمُل تخليصه ﴾

فالعبد خصوصيته في قلبه وباطنه ، أما ظاهره فبشرية ، وما وقع الإنكار على الأنبياء والأولياء ، إلا لاعتقاد المنكرين عليهم أن أوصاف البشرية من الأكل والسعي والزواج وغيرها تنافي ثبوت الخصوصية ، حتى قالوا : ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان:٧) ، فرد تعالى عليهم بقوله ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾(الرعد:٣٨) . أما الأوصاف الذميمة كالحسد والكبر ، والبغض والعجب والرياء والغضب ، والقلق ، وخوف الفقر وهم الرزق فهي ممتنعة أيضًا في حق الأنبياء والأولياء مع أنها من صفات البشرية . فربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة ، فلا تغرك الكرامات ولا الفتوحات الواردة ،

فالعبرة بالإستقامة على الشرع ، إذ كثير من أهل البدايات قد تحدث له بعض الفتوحات والمشاهدات ومع ذلك لم يكتمل سلوكه ولم تقوى معرفته . فتقع الكرامات عادة لأهل البدايات تقوية ليقينهم ، وقلما تقع للكمل من الرجال لقوة تمكينهم .

۞ ﴿ لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك ، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك ﴾

فمن حيث النفس ، فأنت مظهر كل نقص وعيب ، ومن حيث فضله مظهر كل خير ، فالخصال الحميدة في الإنسان مواهب من الرحمن . فما العمل إلا عطية من عطاياه ، وما النفس إلا مطية من مطاياه إن شاء زمها بزمام الهدى ، وإن شاء تركها سدى .

۞ ﴿ لو كنت لا تصل إليه إلاَّ بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا ، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصَّلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه ﴾

لو تأملت وجدت كل محاسنك مساوئ ، وأحوالك دعاوي ، ولو كنت رأس المخلصين ، ولا تستطيع أن تنسب إلى نفسك مقاما أصلا ، فإن ابتلاك فصبرت ، فما أدراك لو ابتلاك بأعظم من ذلك ماذا كنت ستفعل ، حتى أن الشرع عين للصفات الردية مصارف فقال : ﴿ **لا حسد إلا في اثنتين** ﴾ ونهى عن التبختر وأباحه في الحرب . فإذا قابلك الحق بصفاته تلاشى وجودك في وجوده وغيبك عن شهودك بشهوده ، فيستر ضعفك في قوته ، وفقرك في غناه وعجزك

في قدرته ، وجهلك في علمه ، وذُلّك في عزته ، يوصلك إليه بما منه إليك من توفيق وفضل وكرم ، لا بما منك إليه من مجاهدة ، وعلم وعمل .

۞ ﴿من أكرمك فإنما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ، ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك ﴾

أنت محل كل نقص مطيعا أو عاصياً ، فجميل ستره هو الذي حبب عباده فيك ، ولولا ستره لك لكرهك أحب الناس وأقربهم إليك . فالخلق يتعاملون ويتحابون بستر الحق ، ولو كُشف ما في الضمائر والسرائر ما نظر أحد لأحد .

۞ ﴿ ورود الإمداد بحسب الإستعداد ، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار ﴾

فبقدر الصفاء يكون الوفاء ، ومن كمل استعداده نال مراده .

وتجلي الجمال في الْمَشَاهِد بحسب ما عليه الْمُشَاهِد .

۞ ﴿ الغافل إذا أصبح نظر في ماذا يفعل ، والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به ﴾

فلشدة غفلة الغافل ينسب الفعل لنفسه دون النظر لربه ، فكلما فاته مقصد تكدر حاله وتغير باله ، فهو معتمد أبدا على تدبيره ، غير ناظر إلى تدبير الله له ، فهو معتمد على عمله وفعله ، ومن دبر نفسه وُكِل إليها .

أما العاقل فلا يرى فاعلا سوى الله ، فيترك له التدبير ، فهو ناظر إليه راضي بما يرد منه عليه ، فحق على الله أن يرضيه ويقر عينه بما يقيمه فيه من الأعمال ، أو بما يورده عليه من الأحوال ، وناهيك بذلك سعادة ، فيخرج من ضيق حوله وقوته إلى سعة حول الله وقوته .

۞ ﴿ إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شئ لغيبتهم عن الله في كل شئ ، فلو شهدوه في كل شئ ، لم يستوحشوا من شئ ﴾

خلق الله تعالى الخلق ليدل على الله تعالى ، لا ليدل على نفسه فهو تعالى الظاهر في كل مظهر ، فما غاب أبداً ، والكون كله غيب ما ظهر أبدا ، فالعباد والزهاد استوحشوا من الأشياء ، لرؤيتهم إياها أشياء فارغة من وجود الله فيها ،

فتركوا الأهل والمال ، وانحازوا إلى القفار والجبال حتى يرتاحوا من شرور العباد ، ويتخلصوا من العلل والآفات ، فأساءوا الظن بالعباد ، فوقعوا فيما منه هربوا . أما العارفون ، فإنهم يرون الأشياء قائمة بالله ، عامرة بوجود الله فيها . ومن الأولياء من يفنى عن كل شئ ، فلا يشهد مع الله شيئا . وولي يبقى في كل شئ ويشهد الله في كل شئ ، وهذا أتم وأكمل . فالله تعالى لم يظهر المملكة ، إلا ليشهد فيها . فالكائنات هي مرايا الصفات . فمن غاب عن الكون غاب عن شهود الحق فيه . فما نصب الكائنات لتراها ، بل ليرى فيها مولاها . فالعبد يأنس بكل شيء من حيث أنه مظهر من مظاهر ربه ، يشاهد فيه جمال سيده . فالعارفون غابوا عن شهود الخلق بشهود الحق ، فهم مع الخلق بالأشباح ، ومع الحق بالأرواح . فظاهر الأمر خلق ، وباطنه حق .

۞ ﴿ أباح لك أن تنظر ما في المكونات ، وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات ﴾

قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (العنكبوت:٢٠) ، ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(يونس: ١٠١) .

فمن الخلق من ينظر إلى الكون ويحجبه عن المكون ، فهذا هو المقصود بأن لا يقف مع ذوات المكونات لأن المكونات بالنسبة له حجاب ، ومن الخلق من يرى الله تعالى هو الوجود، فلا يضره نظره إلى الكون .

۞ ﴿متى أوحشك من خلقه ، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به﴾

فالعبد من شأنه أن يتحمل الأذى من جميع الأنام ، ويشهد أن ذلك من رحمته به ونعمته عليه حتى لا يركن إلى سواه . ومن عادة الله سبحانه وتعالى مع أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الأذى في مبتدأ أمرهم ثم تكون الدولة لهم آخراً . بل وإذا ظهرت كرامته في بلد وصار أهلها يمدحونه ويتوددون إليه ويعتقدون فيه تحول عنها إلى غيرها . ولأن الدنيا ليست بدار إظهار الكرامة بل كلٌّ فيها مشغول بنفسه مطالب بالتكاليف الشرعية ، فمن طلب فيها الرفعة والاستعلاء خرج عن عبوديته لله . ألم تر أن رسول الله ﷺ لم يخبرنا إلاَّ بما أخبر الله تعالى به مع علو مرتبته ، ولولا ذلك جهلنا قدره

العظيم ، ومع ذلك فإنه لا يظهر مقامه الخاص إلا في الآخرة، أما ما ظهر في الدنيا فهي قطرة من هذا المقام ظهرت للخاص والعام ، قال ﷺ : ﴿ **من أسدى إليكم معروفًا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فقولوا جزاك الله خيرا ، فقد كافأتموه** ﴾ . وذلك ليتخلص القلب من رق إحسان الخلق ، ويتعلق بالملك الحق ، لأن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها ، فالواجب على العبد أن يهرب من خير الناس أكثر من هربه من شرهم ، لأن خيرهم يصيبه في قلبه ، أما شرهم فيصيبه في بدنه . ولعدو تصل به إلى الله ، خير من حبيب يقطعك عن الله . وسنة الله هي تسليط الخلق على أوليائه في مبدأ طريقهم ، ثم يمكنهم بعد ذلك .

۞ ﴿ متى آلمك عدم إقبال الناس عليك ، أو توجههم بالذم إليك ، فارجع إلى علم الله فيك ، فإن كان لا يقنعك علمه فيك ، فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه ، أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم ﴾

العبد يقنع بنظر الله إليه في كل سكناته وحركاته ، فلا نظر له إلا إلى الله . فإذا سلط الله عليك خلقه ، ليختبرك هل أنت غني به ، أو بخلقه ، فأدبروا عنك واشتغلوا بذمك ، ثم توجعت من ذلك ، فارجع إلى علم الله فيك ، فإن كفاك ذلك وقنعت به ، واستوى عندك ذمهم ومدحهم ، وإقبالهم وإدبارهم ، بل ربما آثرت إدبارهم ، لما فيه من راحة البال ، وفراغ القلب . فإن لم تقنع بعلم الله ولم تكتف بنظره ، وتأسفت على إدبارهم أو تألمت من أذاهم ، فمصيبتك

بضعف إيمانك وذهاب يقينك أشد من مصيبة ذم الناس وإدبارهم عنك ، لأن هذا موجب لسخط الله وغضبه . وسكون القلب إلى قبول المدح أشد في النفس من المعاصي . واعلم أن ألسنة الخلق أقلام الحق فانظر ما ذممت به من أجله، فإن كان الله تعالى يعلم منك وجوده فارجع إليه بالتوبة والإستغفار ، وإن كان الله تعالى يعلم براءتك منه فكفى به شاهداً ووكيلا . ولا يصل عبد إلى مقام الطهارة من الرذائل حتى يصير لا يرى في أحد عيبا إذ لا يقابلك من العالم ومن الحق إلا صفتك ﴿ **والمؤمن مرآة المؤمن** ﴾ فمتى تألم قلبك من ذم الناس فأنت في غاية الإفلاس إذ كل من ذمك أعطاك حسناته يوم القيامة يوم يبخل عليك أبوك وأمك بحسنة ، فكيف تكره من هذا حاله معك . وكان أهل الله يحبون الإقامة في الأماكن التي ينكر الناس عليهم فيها ، ستراً

لأحوالهم ، وكسباً لحسناتهم ، فإذا أراد الله بعبد خيراً جعل الناس تنكر عليه ، حتى بعد وفاته ، فتصير حسناتهم تجري عليه وهو في البرزخ ، كالصدقة الجارية .

۞ ﴿ إنما أجرى الأذى عليك منهم كي لا تكون ساكناً إليهم ، أراد أن يزعجك عن كل شئ حتى لا يشغلك عنه شئ ﴾

فأجرى الأذى عليك منهم حتى يزهدك فيهم ويحررك من رق إحسانهم ، والله تعالى يبتلي أهل وداده بأشرار عباده ، ومن علامة الصديقية كثرة الأعداء مع عدم المبالاة بهم . فالتسليط في الإبتداء ، والإكرام في الوسط ، وكلاهما في الإنتهاء . فيستوي عنده إقبال الناس عليه وإعراضهم عنه . وكذلك يستوي مدحهم وذمهم له مكتفياً بنظر الله إليه وعلمه فيه

۞ ﴿ متى طلبت عوضا على عمل طولبت بوجود الصدق فيه ﴾

فمتى طالبته بالثواب والعوض طالبك بالإخلاص ، فالأجير متى أخذ الأجرة فارقه سيده ، فالأدب سؤال العفو عما جناه من التقصير في العبادة ، لا طلب الأجر عليها .

۞ ﴿ إذا أراد أن يظهر فضله عليك ، خلق فيك ونسب إليك ﴾

أي خلق الطاعة وأبرزها منك ونسبها إليك . إذ الكل بيده والطاعة بعض مدده . قال أبو يزيد : غلطت في بدايتي في أشياء : توهمت أني أذكره ، وأعرفه ، وأحبه ، وأطلبه ، فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري ، ومحبته تقدمت محبتي ،

وطلبه لي أول حتى طلبته . فإذا فعل العبد الطاعة فقال : يا رب أنت بفضلك أعنت وسهلت ، شكر الله له ذلك ، وقال: بل أنت عملت وأطعت وتقربت . وإذا نظر إلى نفسه فقال : عملت وأطعت وتقربت ، أعرض الله عنه وقال له : بل أنا سهلت ويسرت وأعنت . وإذا أذنب العبد ذنباً فقال : أنت قضيت وقدرت وحكمت ، غضب الرب وقال : بل أنت أسات وعصيت وإن قال : أنا ظلمت وأسأت وجهلت، أقبل المولى عليه وقال : إني قضيت وقدرت ، وقد غفرت .

۞ ﴿ كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً ، وبأوصاف عبوديتك متحققاً ﴾

أوصاف الربوبية الغنى والعز والقوة والعلم ، وهي محل تعلق العبد واعتماده . وأوصاف العبودية الفقر وذل وضعف

وجهل والتعلق والتحقق متلازمان فتارة يغلب على العبد التعلق وتارة التحقق ، فهذا رسول الله ﷺ أطعم ألفاً من صاع إظهاراً للغنى بالله ، وشدّ على بطنه حجرين من الجوع اظهاراً للفقر إليه .

۞ ﴿ إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك من حصول الإستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قُدِّر عليك ﴾

۞ ﴿ حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها ، إذ ما من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد ، فكيف تقضي فيه حق غيره ، وأنت لم تقض حق الله فيه ﴾

فالعبد يعلم قيمة وقته ، وأن لله تعالى عليه في كل لحظة حق أكيد ، إما حمد ، أو استغفار ، فإذا مضى هذا الوقت ، و لم يقم بحق الله فيه ، فإنه لا يمكن له قضاء هذا الحق ، لأنه الآن في وقت آخر يتعين عليه فيه حق آخر لله . فحق كل وقت أن تشكر الله إن كان وقت نعمة ، وتصبر إن كان وقت بلية، وأن تشهد المنة إن كان وقت طاعة ، وتستغفر إن كان وقت معصية . فلابد من حفظ حقوق الوقت من الضياع ، لأن لكل وقت حقه ، ولا تستطيع قضاء حق الوقت في وقت آخر لتلبس الوقت الآخر بحق جديد . أما الحقوق التي في الأوقات كالصلاة والصيام وغيرها ، فيمكن قضاؤها إن خرج وقتها .

۞ ﴿ لِيقلَّ ما تفرح به ، يقل ما تحزن عليه ﴾

وذلك في أمور الدنيا ، لأن الحزن بالفقدان بقدر الفرح بالوجدان ، فخير الرزق ما كفى . فالعبد يهرب من أن يتملك شيئًا من حطام الدنيا ، فإذا أردت أن يدوم سرورك فلا تملك شيئًا تحزن على فقده . والتملك كله أمر وهمي ، إذ أن المالك على الحقيقة هو الله تعالى ، ونحن مخولون موكلون فقط فمن تملك شيئًا في الدنيا فهو على سبيل الوكالة عن الله تعالى ليس إلا .

۞ ﴿ إن أردت أن لاتُعزل ، فلا تتول ولاية لا تدوم لك ﴾

وكل ولايات الدنيا كذلك ، فاعزل نفسك قبل أن تُعزل . أما العارف إنما يرغب في ولاية العلوم والمعارف ، فهي ولاية

لا يعزلك فيها أحد ، ولا يؤثر فيها من حسد ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ (طه: ١١٤) . متى أردت ولاية لا تدوم ، فقد تعجلت لقلبك الهموم .

۞ ﴿ **من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك** ﴾

فيفرغ سرك من هموم طلب الرزق ، فيرزقك من الدنيا ما يعينك لا ما يتعبك ويهينك .

۞ ﴿ **من اثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً ، إذ ليس التواضع إلا عن رفعة ، وليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ، ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع** ﴾

فالتواضع الحقيقي ما كان ناشئا عن رؤية صفات الحق ، العزيز صاحب العزة . فهم يرون أنهم أحقر الخلق ذوقاً ، لا علما ، ولا يرون أحداً إلا وهم يرونه أعلى منهم منزلة . فمن رأى نفسه خيراً من فرعون ، فقد أظهر الكبر . والعبد دائماً متواضع لله تعالى لا يرفع رأسه أبداً ما دام في ملك سيده ومن كان تواضعه عن رؤية عظمة ربه سجد قلبه لله تعالى . ومن سجد قلبه فلا يرفع أبداً . ومن هذا حاله ، فإنه لا يرى لنفسه تواضعا أصلاً .

۞ ﴿ قوم تسبق أنوارهم أذكارهم ، وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم ، وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم، وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ بالله من ذلك ﴾

قوم مرادون مجذوبون ، أهل راحة ومحبة . وقوم مريدون سالكون ، يجتهدون ويكابدون ، فهم أهل خدمة . وقوم يسلكون تارة ، ويجذبون أخرى .

۞ ﴿ **أكرمك الله تعالى بكرامات ثلاث : جعلك ذاكراً له ، ولولا فضله لم تكن أهلاً لجريان ذكره عليك ، وجعلك مذكورا به إذ حقق نسبته لديك ، وجعلك مذكوراً عنده فتمم نعمته عليك** ﴾

قال تعالى : ﴿ **فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ** ﴾ (البقرة: ١٥٢) ، ﴿**وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ** ﴾ (العنكبوت: ٤٥) . وقال ﷺ في الحديث القدسي : ﴿**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم** ﴾ .

۞ ﴿ رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ، ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده ﴾

قال ﷺ : ﴿**من أراد أن ينسأ له في عمره ، ويوسع له في رزقه فليصل رحمه** ﴾ . فأمة رسول الله ﷺ أقصر الأمم أعماراً ، ولكنها ببركة رسول الله ﷺ أعظمها بركة ، انظر إلى أعمار الأمم قبلنا ومع ذلك لم يحصلوا من العلوم والمعرفة ما حصله علماء أمة المصطفى ﷺ مع قصر أعمارهم بالنسبة لمن قبلهم . فإذا واجهتك العناية بلغت في يسير من العمر الغاية . ومنها الحديث : ﴿ **صلة الرحم تطيل العمر** ﴾ .

فهرس

المحتوى

فهرس المحتوى

	الموضوع	الصفحة
١-	ارادتك التجريد	٣
٢-	لا تطلب منه	٤
٣-	ما ترك	٨
٤-	طلبك منه	٩
٥-	كيف يكون	١٠
٦-	ما توقف	١٠
٧-	ما من نفس	١١
٨-	من علامة الاعتماد	١٢
٩-	سوابق الهمم	١٥
١٠-	أرح نفسك	١٦
١١-	اجتهادك فيما	١٨
١٢-	ربما دلهم	٢٠
١٣-	لا يكن تأخر	٢١
١٤-	لا يشككنك	٢٢

الموضوع	الصفحة
١٥- العطاء من الخلق	٢٣
١٦- ربما أعطاك	٢٤
١٧- متى أعطاك	٢٤
١٨- متى فتح لك	٢٥
١٩- إذا فتح لك	٢٥
٢٠- رب معصية	٣٠
٢١- أنت إلى حلمه	٣٠
٢٢- تشوفك إلى	٣١
٢٣- لا صغيرة	٣٢
٢٤- الأعمال صور	٣٢
٢٥- لا تفرحك	٣٣
٢٦- شتان بين	٣٤
٢٧- أنت حر	٣٤
٢٨- ما بسقت	٣٥
٢٩- قلب من ترائيه	٣٥
٣٠- ما قل عمل	٣٦

	الموضوع	الصفحة
٣١-	من لم يُقبل	٣٧
٣٢-	من لم يعرف	٣٨
٣٣-	إن لم تحسن	٣٨
٣٤-	من لم يشكر	٣٩
٣٥-	أنت مع الأكوان	٣٩
٣٦-	إنما وسعك	٤١
٣٧-	قوم أقامهم	٤٣
٣٨-	خير ما تطلبه	٤٥
٣٩-	متى أطلق	٤٦
٤٠-	إذا أردت	٤٦
٤١-	متى رزقك	٤٨
٤٢-	ربما فتح	٤٨
٤٣-	الذي واجهتك	٤٩
٤٤-	من ظن	٤٩
٤٥-	ليس كل من	٥٠

الموضوع	الصفحة
٤٦- لا نهاية	٥١
٤٧- لو كنت	٥٢
٤٨- من أكرمك	٥٣
٤٩- ورود الإمداد	٥٤
٥٠- الغافل إذا	٥٤
٥١- إنما يستوحش	٥٥
٥٢- أباح لك	٥٧
٥٣- متى أوحشك	٥٨
٥٤- متى آلمك	٦٠
٥٥- إنما أجرى	٦٢
٥٦- متى طلبت	٦٣
٥٧- إذا أرد أن	٦٣
٥٨- كن بأوصاف	٦٤
٥٩- إذا وقع منك	٦٥
٦٠- حقوق في الأوقات	٦٥
٦١- ليقل ما تفرح	٦٧

الموضوع	الصفحة
٦٢- إن أردت أن	٦٧
٦٣- من تمام النعمة	٦٨
٦٤- من أثبت لنفسه	٦٨
٦٥- قوم تسبقهم.....	٦٩
٦٦- أكرمك الله تعالى	٧٠
٦٧- رب عمر اتسعت	٧١
٦٨- فهرس المحتوى	٧٣